■■ الجذور الإسلامية لسيد نصير (إعدام كاهانا)

مقدمة

من منا لم يشعر بالفرح عندما سمع بنبأ اغتيال الحاخام كاهانا.. ومن منا لم يتضاعف فرحه عندما علم أن قاتل كاهانا مصري من مدينة بور فؤاد الباسلة.

لقد فرحنا رغم أننا ننتمي إلى حضارة لا تحبذ العنف ولا تجيزه إلا في حالات الدفاع الشرعي عن النفس أو لإزالة الاستكبار وتحرير الإنسان وإقامة مجتمع العدل والحرية، نعم فرحنا لأن إعدام كاهانا يأتي من صميم حالة الدفاع الشرعي عن النفس والعرض والمقدسات والأرض وحرية شعب فلسطين وحقه في تحرير كل التراب الفلسطيني من النهر إلى البحر ومن الجنوب إلى الجنوب وانتقامًا من ممارسات الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني والقدس والأقصى.

وتضاعف فرحنا لأن انتماء سيد نصير إلى الشعب المصري يؤكد أن هذا الشعب ما زال في قلب خندق الجهاد ضد الكيان الصهيوني انطلاقا من عقيدة الإسلام وإيمانًا بأن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة الإسلامية ورفضًا لمسيرة التصالح والتطبيع مع هذا الكيان العدواني الحاقد على أمة الإسلام وحضارة الإسلام.

تفاصيل الحادث

بينما كان الحاخام مائير كاهانا يلقي خطابًا في نحو ستين رجلاً من أنصاره في

صالة المؤتمرات في الطابق الأول من فندق هالوران هاوس بحي مانهاتن بمدينة نيويورك الأمريكية، دخل إلى القاعة شاب نحيف ذو لحية تأخذ الطابع الإسلامي وتظاهر بالاستماع إلى محاضرة مائير كاهانا.

قال كاهانا كلامه التقليدي الذي يقول مثله في كل محاضرة (ليس أمام عرب فلسطين إلا الموت أو الطرد) قالها بصوت عال فيه نبرة غطرسة وغرور، بينما قال الشاب النحيف بصوت لم يسمعه أحد (فلسطين إسلامية رغم أنف الصهيونية).

وعندما وقف مائير كاهانا ليتلقى بعض الأسئلة من الحاضرين -اتجه نحوه الشاب النحيف- سيد نصير في هدوء وثبات وكان مبتسمًا وبادره بإطلاق رصاصتين أصابت إحداهما عنق الحاخام وأصابت الثانية صدره ونقل الحاخام إلى المستشفى الذي أعلن وفاته بعد خمسين دقيقة فقط من وصوله.

خرج السيد نصير من الفندق بعد أن جرح برصاصة أحد الزبائن وبينما كان يستعد لإجبار سيارة أجرة على نقله حاول رجل شرطة متقاعد تصادف وجوده في المكان في ذلك الوقت اعتراض سيد نصير فتبادل معه إطلاق الرصاص وأصيب كل منهما.

انتقل السيد نصير إلى المستشفى (ووضع تحت حراسة مشددة) وعندما علم بموت كاهانا برصاصات مسدسه ابتسم في سعادة لقد أدى شيئًا من واجبه نحو فلسطين (نحو القدس) نحو أمته الإسلامية.

وواجه سيد نصير المحقق الأمريكي الذي وجه إليه ثلاث تهم من بينها قتل كاهانا وحيازة أسلحة غير مشروعة (ولكن سيد لا يعبأ بتلك التهم) لأنه يعرف أن طريق الجهاد في سبيل الله نهايته الطبيعية الاستشهاد.

مائير كاهانا ... وسيد نصير

ولد مائير كاهانا، واسمه الحقيقي مارتن ديفيد ولقبه مايكل كينج عام ١٩٣٢م في مدينة نيويورك وهي المدينة التي لقي فيها حتفه.

وفي سيرة كاهانا الشخصية[1] فإنه ولد في حي بروكلين بنيويورك لأبوين مهاجرين من أوروبا الشرقية وكان والده حاخامًا أيضًا، وتأثر كاهانا بأفكار جابوتنسكي أستاذ بيجين وأحد المتطرفين الإسرائيليين الأوائل، وكان جابوتنسكي يرتبط بصداقة قوية مع والد كاهانا، وعمل كاهانا بين عامي ١٩٤٦م،١٩٥١م في صفوف حركة بيتار وهي حركة للشبيبة الصهيونية أسست عام ١٩٢٣ على نهج أفكار الزعيم الصهيوني زئيف جابوتنسكي ثم في صفوف حركة بيناه أكيفاه عامي ١٩٥٣م-١٩٥٤م.

درس كاهانا في مدرسة تلمودية بحي كوينس في نيويورك وتم تعيينه حاخامًا سنة ١٩٥٧م، كما حصل على شهادة في العلوم السياسية ودبلوم في القانون وماجستير في العلاقات الدولية من جامعة نيويورك، كما عمل صحفيًا في صحيفتي (بروكلين ويلي) و(جولين برس)، أسس كاهانا رابطة الدفاع اليهودية سنة ١٩٦٨م.

وحسب المصدر المشار إليه في الهامش، وهو (القانون السياسي لدولة إسرائيل) الصادر في نيويورك فإن مائير كاهانا كان على علاقة بعصابات المافيا حيث أنه في عام ١٩٧١م كان قد سجن بسبب حيازة سلاح بطريقة غير مشروعة وأفرج عنه بكفالة دفعها زعيم المافيا جوزيف كولومبو.

شارك كهانا بحماس شديد في جمع التبرعات لإسرائيل، كما اشترك بنفسه واشتركت منظمته الإرهابية (رابطة الدفاع اليهودية المسلحة) في الكثير من أعمال العنف ضد العرب وغير العرب دعمًا للكيان الصهيوني. فقد شارك كاهانا ومنظمته في ٧ عمليات نسف وانفجارات داخل الولايات المتحدة الأمريكية استهدفت شخصيات عربية أو مصالح سوفيتية للضغط على الاتحاد السوفييتي للسماح بهجرة اليهود السوفييت (وذلك في الفترة من ١٩٦٨م إلى ١٩٧١م) كما قامت منظمة كاهانا بمحاولة فاشلة لتهريب أسلحة من إسرائيل إلى إيطاليا لمهاجمة السفارة الليبية في روما سنة ١٩٧٢م.

هاجر كاهانا إلى إسرائيل سنة ١٩٧١م بمساعدة جيئولا كوهين نائبة البرلمان

(١) كما وردت في القاموس السياسي لدولة إسرائيل الصادر في نيويورك.

الإسرائيلي وإسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل حاليًا. وقد نسق كاهانا مع شامير عدد من العمليات للضغط على الاتحاد السوفييتي للسماح بهجرة اليهود السوفييت عن طريق عمليات العنف ضد المصالح السوفييتية.

في سنة ١٩٧٢م أسس كاهانا حركة (كاخ) العنصرية اليهودية التي بدأت حملة واسعة لبناء المستوطنات الصهيونية في قلب المناطق العربية المحتلة سنة ١٩٦٧م كما تبنت حركة (كاخ) عملية إرهاب العرب في فلسطين المحتلة بهدف ترحيلهم عن الأراضي المحتلة كما تورطت الحركة في الكثير من أعمال العنف ضد العرب والتصفيات الجسدية وإطلاق الرصاص. وذلك تحت شعار (الرحيل أو الموت) ولم يقتصر الأمر على عرب الأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧م بل طالت كل العرب المقيمين داخل الكيان الصهيوني حتى أولئك المقيمين في المناطق سنة ١٩٤٨م.

عمد كاهانا إلى محاولة بعث أسطورة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى. كما قامت العناصر الموالية له بأكثر من محاولة لإحراق المسجد الأقصى أو تنفيذ حفريات تحته بهدف تقويضه بحجة البحث عن هيكل سليمان.

نجح كاهانا في أن يصبح عضوًا في البرلمان الصهيوني (الكنيست) سنة ١٩٨١م. ويرى كاهانا أن حدود إسرائيل من النيل إلى الفرات وأن الأردن هي الأرض الشرقية لإسرائيل.

أما سيد نصير (وبالتحديد سيد عبد العزيز نصير[1] من مواليد بور فؤاد عام ١٩٥٥م) تخرج في كلية الفنون التطبيقية بجامعة حلوان ط١٩٧٨م، تولى حراسة مرمى جامعة حلوان طوال سنوات الكلية، عمل بشركة الإنشاءات البحرية عقب تخرجه من الجامعة، سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في ١٤/ ٧/ ١٩٨١م. عمل في أمريكا فني صيانة تكييف وتبريد بوزارة العدل، تزوج عام ١٩٨٣م من فتاة أمريكية مسلمة وأنجب

(١) استعنا في هذا الجزء بالتحقيقات الصحفية في المصور، أخبار اليوم، الوفد، الشعب، الأهالي الصادرة في الفترة من (٩ نوفمبر ١٩٩٠م– ١٦ نوفمبر ١٩٩٠م) والتي قام بها عدد من الصحفيين مثل إيهاب عبد الستار، عاطف حزين، مجدي الدقاق، قطب العربي، أشرف خليل، سليمان شفيق.

منها طفلين هما عبد العزيز وعبد الرحمن وطفلة واحدة هي نورا.

نشأ سيد في حي شعبي في بور فؤاد وأثرت عليه مثل غيره الثقافة الشعبية وهي إسلامية في مجملها، الوالد موظف بسيط في شركة الإنشاءات البحرية وهو الآن على المعاش، الأم سيدة مثل كل السيدات في مصر شديدة التدين تبث في أولادها الروح الإسلامية من خلال الحكايات الشعبية البسيطة وقد توفت تلك السيدة عام ١٩٨١م وكان السيد شديد الارتباط بها.. الأسرة مكونة من الأب، الأم خمسة من الأولاد.

درس سيد نصير في مدرسة النصر الابتدائية ببور فؤاد كان يمتاز بجسم رياضي ويميل إلى لعب الجمباز ونبغ في حراسة المرمى كما نبغ في الرسم، هادئ، وديع، نحيف. التحق بمدرسة بور فؤاد الإعدادية عام ١٩٦٦م، جاءت نكسة ١٩٦٧م.. يهاجر مع أسرته، يحصل على الثانوية العامة، يلتحق بكلية الفنون التطبيقية، يتخرج منها، يعود إلى بور فؤاد، يسافر إلى أمريكا سنة ١٩٨١م، يقتل كاهانا عام ١٩٩٠م.

ولنحاول الآن إلقاء المزيد من الضوء على حياة سيد نصير والظروف المحيطة به لنعرف دوافع الرجل لاغتيال الحاخام كاهانا.. يقول الصحفي عاطف حزين[1] وهو زميل دراسة لسيد نصير: (شغوف بالفنون، وسيم جدًا، مؤدب جدًا، مثقف جدًا جدًا، تعلمت منه الكثير، كلما كتب أو رسم أراني وبهرني، كلما اشترى كتابًا جديدًا لا يبخل في إعارته لمن يحبونه).

عندما رأى فتاة أمريكية حسناء تشهر إسلامها في المسجد في أمريكا، سأل عنها فقالوا له اسمها كارين لكنها اختارت اسم خديجة، وبدون تردد تقدم منها وقال لها: هل تقبلين الزواج مني؟ وكانت الإجابة في خطاب مستعجل أرسله السيد إلى الأب يطلب فيه مباركة هذا الزواج وسرعان ما وصل إليه الرد (مبروك يا عرب[2]).

يقول أحد أصدقائه في أمريكا: (إنه ملاك.. لا يعرف الكذب والخداع لم يتغير في شيء منذ جاء إلينا، بصراحة نحن نحسده على أخلاقه وزوجته سيدة فاضلة إنه إنسان

(١) تحقيق صحفي (أخبار اليوم ١٠/ ١١/ ١٩٩٠م) عاطف حزين.

(٢) نفس التحقيق السابق.

من طراز فريد لا يتكلم كثيرًا.. لم أرى دموعه إلا عندما وصلت إلينا أنباء مذبحة المسجد الأقصى التي دبرها الإرهابيون اليهود)[1].

أما الأب عبد العزيز السيد نصير أو الحاج عبد العزيز كما يطلق عليه أهالي بور فؤاد فيقول:

(إن السيد (ابنه) كان تقيًا يعرف الله تعالى وكان محبوبًا من الجيران والأصدقاء وكان مشهورًا بالأدب والخلق وحسن السلوك)[2] ويضيف الأب: (إنني أطالب الحكومة المصرية والدول العربية والإسلامية بالوقوف إلى جانب السيد لأن عمله كان في خدمة العرب والمسلمين وأن كاهانا كان يطالب بقتل العرب والمسلمين وقد لقي جزاء دعوته وانتقم الله منه)[3].

ويقول شقيقه محمد نصير: (أنه عرف الخبر من زملائه في العمل الذين تجمعوا حوله فور وصوله إلى الشركة يهنئونه بعمل شقيقه السيد)، ويضيف شقيقه: (إن السيد فعل هذا دفاعًا ونيابة عن كل العرب والمسلمين)[4].

أما شقيقته سهير فتقول: (أنها خائفة من كيد اليهود لشقيقها في الغربة)[5].

أما الأم فيتكلم الأب عنها لأنها توفت منذ سنوات قائلاً: (لو كانت والدته موجودة لأعلنت إعجابها به)[6].

ويقول الأب أيضًا: (إن ابنه كان متدينًا بفطرته وكان دائم التردد على المساجد)[7]. ويؤكد على هذا المعنى صبري رخا نقيب المهندسين ببور سعيد

(١) نفس التحقيق السابق.

(٢) تحقيق صحفي (الوفد، ٩/ ١١/ ١٩٩٠م) إيهاب عبد الستار.

(٣) نفس التحقيق السابق.

(٤) نفس التحقيق السابق.

(٥) نفس التحقيق السابق.

(٦) نفس التحقيق السابق.

(٧) تحقيق صحفي (الشعب، ١٣/ ١١/ ١٩٩٠م قطب العربي) أشرف خليل.

والمهندس أبو العلا ماضي الأمين العام المساعد لنقابة المهندسين الذي كان قد التقى بسيد نصير في المركز الإسلامي بنيوجرسي كما يؤكد عليه أيضًا ارتداء زوجته للحجاب الإسلامي وإلحاق أبنائه بمدرسة المركز الإسلامي في نيوجرسي[1].

وإذا كانت تلك الصورة الخاصة بسيد نصير وبأسرته وبالظروف المحيطة به فإن في جانب آخر من الصورة نجد تعاطفًا واضحًا وتأييدًا كبيرًا لما قام به سيد نصير، فالأب فخور به، والأب أيضًا يؤكد أن الأم لو كانت ما تزال حية لكانت أيضًا قد أعلنت إعجابها به وكذلك الأخ والأخت (بل أكثر من هذا أن جميع المحيطين بأسرة سيد من أقارب وأصدقاء أعلنوا إعجابهم بهذا العمل) كما قام الآخرون بتهنئة أهل سيد بهذا العمل، ووصل الأمر إلى حد أن زملاء سيد، المعلمين الذين درّسوا له، أهل بور سعيد عمومًا، محافظ بور سعيد، مدير الأمن، قيادات سياسية وشعبية قد أعلنوا أيضًا إعجابهم بهذا العمل[2].

وعلى المستوى المصري والعربي والإسلامي نجد أن جميع الصحف العربية والإسلامية قد أشادت بالعمل واعتبرته عملاً عظيمًا وكذلك التصريحات الشعبية والسياسية الصادرة من مختلف الفعاليات السياسية بل وقام البعض بإعداد لجان الدفاع عن سيد نصير.

والدلالة الواضحة لكل ما سبق أن سيد نصير شاب هادئ، فنان، وسيم، مؤدب، شديد التدين، يتردد على المساجد دائمًا... زوجته ذات حجاب إسلامي، هو نفسه يطلق لحيته. أي أن التصدي للصهاينة عمل طبيعي جدًا يقوم به أي إنسان حتى ولو كان هادئًا وديعًا، وأن التدين حافز هام للجهاد ضد إسرائيل، وأن الباعث على إقدام سيد على قتل كاهانا كان باعثًا إسلاميًا فالأب نفسه يحدد الباعث بأنه للدفاع عن العرب والمسلمين. أما من حيث الباعث المباشر فهو رد فعل على مذبحة الأقصى التي وقعت يوم ٨ أكتوبر ١٩٩٠م وراح ضحيتها ٢١ فلسطينيًا وهي المذبحة التي أبكت سيد نصير على حد قول أحد أصدقائه المقيمين في أمريكا، كما سبق أن أوردنا.

(١) نفس التحقيق السابق.

(٢) نفس التحقيق السابق.

وإذا كان سيد نصير قد نفذ عملية اغتيال كاهانا انطلاقا من دوافع إسلامية واضحة، وإذا كان عمله هذا قد حظي بالإعجاب والإشادة من الجميع، فإن للمسألة دلالات هامة على المستوى الإسلامي والعربي والمصري، وإذا كان من المفهوم أن الإسلام يدعو للجهاد ضد كل اغتصاب لأجزاء من وطننا الإسلامي، وإذا كانت فلسطين هي أرض المقدسات الإسلامية وإذا كان من الطبيعي أن يتعاطف العرب مع سيد نصير لأن الكيان الصهيوني خطر على مقدسات العرب ودينهم ووجودهم ذاته، فإن الدلالة الأهم هنا هو ذلك الإعجاب والإشادة تعكسان الإيمان المصري الفطري بالإسلام والوجدان الشعبي الإسلامي المصري الذي جعل الشعب المصري عمومًا يكره الكيان الصهيوني حتى النخاع ويعتبر نفسه في طليعة المجاهدين من أجل فلسطين. بل ويعكسان أيضًا ذلك الرفض الواسع للتصالح مع الكيان الصهيوني أو عملية التطبيع معه بعد كامب ديفيد، وإذا كانت الحكومة المصرية قد عقدت اتفاقية كامب ديفيد مع الكيان الصهيوني وإذا كانت بعض الأوساط تسعى لتحقيق مزيد من التطبيع وتسعى لعزل مصر عن محيطها الإسلامي عمومًا وعن قضية فلسطين خصوصًا، فإن هذا لا يعكس رأي الشعب المصري بل هو عكس رأيه تمامًا... ومصرية سيد نصير تؤكد كل هذه المعاني، فسيد نصير المصري يقول برصاصاته التي أطلقها على كاهانا: إن الشعب المصري وانطلاقا من وجدانه الإسلامي العميق يرفض الكيان الصهيوني ويرفض التصالح والتطبيع معه، وأن الشعب المصري في طليعة المؤمنين بالدفاع عن فلسطين وعن مقدسات المسلمين في فلسطين وعن الشعب الفلسطيني،وأن روح الجهاد ما تزال تسري في أعماقه وأنه لن يخمدها معاهدات توقعها السلطة أو دعوات مشبوهة تطلقها أوساط مشبوهة لعزل مصر عن قضايا العالم الإسلامي عمومًا والقضية الفلسطينية خصوصًا.

ولعل من المفيد هنا أن نقرأ كلام أخت سيد مرة أخرى حيث تقول: (إنها خائفة من كيد اليهود).

وهي هنا تستعمل كلمة اليهود وليس الإسرائيليين كما يحلو للمثقفين أن يقولوا وهذا يؤكد عمق الرؤية الدينية لدى الأوساط الشعبية للمسألة على أنها صراع ديني

أساسًا.

الخلفية الفكرية والسياسية لسيد نصير

أغفلت المصادر الصحفية فترة هامة من حياة السيد نصير وهي الفترة من (١٩٧٣م-١٩٨١م) وهي أيضًا من أهم الفترات في حياة السيد نصير لأنها فترة التشكيل السياسي له داخل الجامعة أو بعد التخرج وكذلك فترة اختيار القناعات السياسية وممارسة العمل السياسي بأي صورة من الصور. ولعلنا هنا نكمل الصورة برصد تلك الفترة من حياته وذلك من خلال العلاقة الشخصية التي جمعتني به داخل الجامعة وتحديدًا في غرفة شباب الإسلام بكلية الهندسة جامعة القاهرة ثم اللقاءات الفكرية التي كانت تضم عددًا من المصريين والفلسطينيين في الفترة من ١٩٧٨م-١٩٨١م.

وفي الحقيقة فإن إلقاء الضوء على تلك الفترة من حياة السيد نصير يجيب على الكثير من الأسئلة حول الدوافع والتركيب السياسي والفكري لسيد نصير الذي أدى في النهاية إلى اتخاذه قرار إعدام كاهانا.

وبادئ ذي بدء ينبغي أن نقول أن سيد نصير، ذلك الفتى الهادئ الفنان المتدين ابن مدينة بور فؤاد وهي المدينة التي صمدت للعدوان الصهيوني سنة ١٩٦٧م. فعلى حين استطاع العدو الصهيوني أن يحتل كل الضفة الشرقية للقناة بسبب إهمال أو خيانة القيادة السياسية سنة ١٩٦٧م، فإن مدينة بور فؤاد وحدها استعصت على السقوط وصمدت صمودًا مذهلاً أمام جحافل القوات الإسرائيلية برغم عدم تكافؤ القوى بين الطرفين. ومن المعروف أن مدينة بور فؤاد تقع في الضفة الشرقية لقناة السويس أيضًا.

إذن فسيد نصير ابن مدينة بور فؤاد رأى بنفسه وسمع، رأى بنفسه انسحاب الجيش المصري نتيجة خيانة القيادة السياسية أو إهمالها، رأى مأساة جيش وشعب في عام ١٩٦٧م، رأى الجنود العائدين بلا سلاح وقد تورمت أقدامهم، وسمع منهم عن مأساة جيش مظلوم زجت به القيادة السياسية لكي يذبح على يد أبناء صهيون،

وأدرك سيد أن الجيش كضباط وجنود لا تنقصهم الشجاعة ولا الرغبة في القتال، ولكن القيادة السياسية لم تسمح لهم بالحرب وأمرت بالانسحاب.

وأدرك سيد وتأكد من صحة هذا الأمر، عندما حاولت القوات الإسرائيلية بعد خمسة أيام فقط من حرب ١٩٦٧م أن تحتل مدينة بور فؤاد وذلك في إطار رغبتها في السيطرة على كل الضفة الشرقية لقناة السويس، قامت الطائرات الإسرائيلية بدك المنطقة عدة مرات وتعرضت أيضًا تلك المنطقة إلى الضرب المدفعي الإسرائيلي وهجوم الدبابات عدة مرات، ولكن مدينة بور فؤاد صمدت لتلك الهجمات المتكررة رغم الظروف النفسية الصعبة التي كان يعيشها جنود تلك المدينة بسبب هزيمة ١٩٦٧م. وبرغم عدم تكافؤ القوى بين الطرفين، وبرغم أن بور فؤاد كانت وحدها هي المكان الوحيد على الضفة الشرقية للقناة التي لم يحتلها الإسرائيليون استطاعت القوة المصرية الصغيرة أن تصمد، وتكررت عمليات الهجوم والصمود، وفي كل مرة كانت تلك القوة المصرية الصغيرة تنزل بالعدو الصهيوني أبشع الخسائر مما اضطره في النهاية إلى إلغاء العملية... وهكذا أثبتت تلك القوة الصغيرة أن العيب لم يكن في الإنسان المقاتل، وأن ذلك الإنسان إذا ما سمح له بالقتال فإنه ينتصر ويبلي بلاء حسنًا.

عاش سيد نصير ذلك كله، عاش الهزيمة، عاش الصمود، عاش المأساة وأدرك قوانين اللعبة واستفاد بدرس الصمود في بور فؤاد ورأس العش، وكان وقتئذ يبلغ من العمر اثنتي عشرة عامًا وهي سن حساسة لالتقاط المعاني الصحيحة وخاصة لمن يمتلكون نفسية ووجدان فنان مثل سيد نصير، ثم عاش سيد نصير مأساة التهجير كاملة، عاشها بنفسه وبأسرته التي تركت مسقط رأسها في بور فؤاد ورحلت إلى القاهرة لتعيش في مكان جديد. وبديهي أن هذا ترك بصماته على وجدان السيد نصير وعلى تفكيره، إذن فقد كان قدر سيد نصير أن يحتك بالقضية الفلسطينية وباليهود مبكرًا جداً... ففي سن ١٢ عامًا وجد نفسه وجهًا لوجه أمام اليهود. ثم وجد نفسه يعيش الصمود من خلال القوة الصغيرة التي تشبثت بمواقعها في بور فؤاد ثم وجد نفسه أيضًا يعيش آلام التهجير وقسوة فراق مسقط الرأس.

وكان هذا كله مرتبطًا باليهود وإسرائيل والقضية الفلسطينية.

وهكذا لم يكن غريبًا على سيد نصير أن يهتم اهتمامًا خاصًا بالقضية الفلسطينية اهتمامًا نابعًا من الظروف الخاصة التي عاشها سيد نصير ونابعًا من الوجدان الشعبي التقليدي للمصريين، ونابعًا من تدين سيد نصير الشخصي وتمسكه بالإسلام.

ومع دخول سيد نصير إلى الجامعة سنة ١٩٧٣م. كان من الطبيعي أن يلفت نظره النشاط السياسي للاتجاه الإسلامي عمومًا في الجامعة. والذي كان يتمثل في وجود عدد من التيارات الإسلامية بعضها يركز على الجانب الأخلاقي والآخر على مسألة التربية. وثالث على الوعي السياسي. وكان التيار المهتم بأسلوب التربية هو التيار الإخواني (نسبة إلى الإخوان المسلمين) أقوى تلك التيارات وأكثرها انتشارًا وكان على يمينه وعلى يساره تيارات أخرى.

ولكن أطروحات تيار التربية لم يكن يلبي طموحات سيد نصير. فوفقًا لما أوردناه سابقًا فإن سيد نصير المثقف جدًا جدًا، الذي عايش الصدام والاحتكاك مع الكيان الصهيوني منذ طفولته وجد ضالته في تيار متميز بالوعي والثقافة والاهتمام بالقضية الفلسطينية بصورة خاصة، وكان هذا التيار متمثلاً في جماعة شباب الإسلام والذي كانت كلية الهندسة جامعة القاهرة معقلاً له، وأصبح سيد نصير يتردد على غرفة شباب الإسلام بكلية الهندسية جامعة القاهرة، حيث المناقشات التي تدور حول الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية وحيث الكلام عن قضايا العالم الإسلامي وخاصة القضية الفلسطينية وحيث اللقاء أمام مجلات الحائط التي كانت عناصر جماعة شباب الإسلام تقوم بتحريرها وتعليقها على حوائط الكلية لرصد ومناقشة مستجدات وأحداث مصر والعالم الإسلامي.

وفي الحقيقة فإن تيار جماعة شباب الإسلام كان يهتم بالعمل الجماهيري من خلال الندوات، وإصدار الصحف والمجلات مثل مجلة (وا إسلاماه). بل إن بعض عناصره قد أصدر بعض الكتب مثل وائل عثمان الذي أصدر كتاب (حزب الله ثقافة وأخلاقًا) وكتاب (أسرار الحركة الطلابية) وغيرها من الكتب. كما اهتمت أدبيات تلك الجماعة بمناقشة قضايا العمال والفلاحين وقضايا الغلاء والإسكان، ضرورة

مشاركة المرأة المسلمة في النضال السياسي وغيرها من القضايا.

ومع زيارة السادات للقدس وتوقيعه اتفاقية (كامب ديفيد) سنة ١٩٧٨م ومع بداية التطبيع مع الكيان الصهيوني وزيادة النفوذ الأمريكي في مصر تبلور تيار جديد اهتم أساسًا بالقضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة الإسلامية، واهتم هذا التيار اهتمامًا خاصًا بقضايا العالم الإسلامي انطلاقًا من أن فلسطين قلب الأمة الإسلامية، كما اهتم بقضايا الفقراء والمستضعفين والتصدي للنفوذ الأمريكي المتزايد في مصر وأصدرت عناصر هذا التيار عددًا من المجلات والصحف بالإضافة إلى مجلات الحائط، مثل صحيفة (صوت المستضعفين)، صحيفة (المناوبة) التي اهتمت بأحوال الفلاحين. وكان هذا التيار يتكون من مجموعة من الشباب المصري والفلسطيني الذين جمعت بينهم سنوات الدراسة في الجامعات المصرية.

ووجد سيد نصير نفسه مرتبطًا بهذا التيار بدءًا من عام (١٩٧٨م-١٩٨١م)، وكان هذا التيار هو تيار الطلائع. وفي الحقيقة فإن اسم الطلائع الإسلامية اسم قد ارتبط بهذه المجموعة من الشباب بل بالتحديد أطلقته عليهم أجهزة المباحث التي بدأت ترصد نشاط تلك المجموعة، وكانت تلك المجموعة تعقد جلسات مناقشة حول العديد من القضايا مثل جذور المشكلة الفلسطينية، تاريخ فلسطين، تاريخ الصراع مع الكيان الصهيوني، أهمية دور مصر والشعب المصري في المواجهة مع الكيان الصهيوني، خطورة عزل مصر عن محيطها العربي والإسلامي، وخطورة خروجها من المعادلة العربية والإسلامية في إطار الصراع مع إسرائيل، خطورة الاختراق الأمريكي الإسرائيلي لمصر، أهمية رفض كامب ديفيد وعمليات التطبيع مع الكيان الصهيوني... كما أصدرت تلك المجموعة العديد من الكتيبات مثل (القضية الفلسطينية قضية مركزية لماذا؟) ومثل (التحدي الاستعماري الصهيوني وجهة نظر إسلامية). ومثل (هل في الإسلام ثورة؟). ومثل (التجربة الفلسطينية من منظور إسلامي) وغيرها... وكان سيد نصير في قلب هذا التيار كان يسأل معنا العديد من الأسئلة التي باتت جزءًا من تكويننا وملامحنا وبصماتنا. هل جئنا من السياسة إلى

الإسلام أم جئنا من الإسلام إلى السياسة؟ هل جئنا من فلسطين إلى القرآن أم جئنا من القرآن إلى فلسطين؟ هل فلسطين مجرد وطن سليب أم هي جوهر الصراع بين الإسلام والاستكبار؟... وفي الحقيقة فإننا شاهدنا فلسطين، شاهدناها في قلب القرآن، شاهدناها رحلة الإسراء ذات الساعات القليلة صورة إلهية لتاريخنا الممتد ألف وأربعمائة عام من مكة والمدينة إلى بيت المقدس من محمدﷺ والقرآن يتنزل إلى محمدﷺ والقرآن قد اكتمل منهجًا قويمًا وفاعلاً من بني قريظة إلى الليكود من حراء إلى كامب ديفيد.. من وعد الأولى إلى وعد الآخرة من جاسوا خلال الديار إلى ليسوؤا وجوهكم من القرآن... إلى القرآن. لم نكن وسطًا حسابيًا بين الإسلام والوطنية ولكنه الجدل الممتد من المطلق إلى التاريخ... من القرآن إلى فلسطين، الجدل الذي لا يعرف فواصل العجزة.

عاش سيد نصير معنا هذا كله، وانعكس ذلك بصورة أقوى على وجدانه لأنه وجدان فنان ذو حس مرهف. ورحل سيد إلى أمريكا في يوليو ١٩٨٧م ورحل آخرون معه إلى أمريكا ورحل البعض إلى أوروبا أو الخليج وكنا على موعد مع أحداث سبتمبر ١٩٨١م حيث قام السادات باعتقال العديد من قيادات ورموز الحركة الإسلامية وأوقفت العديد من المجلات الإسلامية وكان لابد أن نفعل شيئًا، وقررنا أن نتحرك واتصلنا بقيادات الجهاد والجماعة الإسلامية بهدف التنسيق في عمل سياسي محدد وكنا قد اخترنا طريق النضال السياسي السلمي. اقترحنا عليهم عمل اعتصام بجامع الأزهر وتوزيع عددًا من المنشورات. وقالوا لنا أنهم يعدون لعمل أكبر من هذا، واحترمنا وجهة نظرهم ولم نسألهم المزيد من التفاصيل. وقام هؤلاء بأحداث أكتوبر ١٩٨١م التي تم بموجبها إعدام السادات أثناء العرض العسكري في ٦ أكتوبر ١٩٨١م. وتم السيطرة على مدينة أسيوط ثم كان ما كان وتم اعتقال عناصر من الجهاد والجماعات الإسلامية. وكان لا بد أن تطالنا الاعتقالات وقرر البعض الرحيل عن مصر وخاصة الفلسطينيين هروبًا من حملة الاعتقالات واستقر هؤلاء في الأرض المحتلة حيث شكلوا حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين التي تلاقت مع عناصر تحمل نفس الفكرة وخرجت تلك الحركة كتيار قوي يعمل ضد الكيان الصهيوني ونفذت الحركة العديد من العمليات الفدائية ضد الكيان الصهيوني

وخاصة عملية إعدام القائد الإسرائيلي لقطاع غزة، وعملية جفعاتي التي تم بموجبها قتل كتيبة صهيونية كانت تقوم بمراسم تقليدية أمام حائط المبكى [1] وتصاعدت عمليات حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين ما بين طعن بالسكين أو الخنجر للجنود الصهاينة وما بين إلقاء الخطب في المساجد أو التظاهر أو توزيع المنشورات أو إصدار المجلات مثل: النور، الطليعة.. وغيرها وكانت عملية تفجير الانتفاضة الثورة في عام ١٩٨٧م هي ذروة العمل النضالي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

أما الآخرون الذي بقوا في مصر فقد طالتهم حملة الاعتقالات التي أعقبت أحداث المنصة وأسيوط وتم تحويل البعض إلى المحاكمة بتهمة الانتماء إلى تنظيم الجهاد الإسلامي وتم التحقيق مع البعض الآخر في القضية ٢٩٥ لسنة ١٩٨٣م حصر أمن دولة عليا حيث رأت النيابة أن تفرد لعناصر الطلائع قضية خاصة بهم لأنهم تيار سياسي متميز عن تنظيم الجهاد. وانتهى أمر قضية الطلائع المسجلة برقم ٢٩٥ لسنة ١٩٨٣م حصر أمن دولة عليا بحفظ التحقيق حيث لم يكن هناك فعلاً ماديًا محددًا يمكن أن ينسب إلى هذه المجموعة، وتم الإفراج عن عناصر هذا التيار الذي أطلقت عليه المباحث اسم (الطلائع) تمييزًا لهم عن تنظيم الجهاد.

وانخرط آخرون في التيار وخاصة طلاب الجامعة وشهدت أعوام ١٩٨٥م،١٩٨٦م نشاطًا متزايدًا لهذه العناصر في جامعتي القاهرة والزقازيق بالتحديد من خلال توزيع المنشورات التي تعكس التضامن مع الشعب الفلسطيني وتندد بالاختراق الصهيوني لمصر وبعملية التصالح مع الكيان الصهيوني أو تعبر عن التضامن مع العمال وخاصة عمال اسكو والمحلة الكبرى الذين كانوا يمارسون الإضراب دفاعًا عن حقوقهم في ذلك الوقت (عام ١٩٨٥م). ثم جاءت عملية سليمان خاطر ووصلت إلى ذروتها في يناير ١٩٨٦م عندما مات سليمان خاطر في السجن في ظروف غامضة ولأن سليمان خاطر ابن آخر من أبناء حركة الطلائع، حيث

(١) من المعروف أن أي كتيبة صهيونية جديدة يتم تشكيلها في إسرائيل تقوم بمراسم دينية معينة أمام حائط المبكى.

تأثر بأفكارها من خلال انتسابه إلى كلية الحقوق جامعة الزقازيق وهي الجامعة التي ضمت أكثر عناصر الطلائع عددًا ونشاطًا، ولأن عملية سليمان خاطر تلتقي مع أفكار الطلائع كان من الطبيعي أن تسارع عناصر الطلائع إلى تبني قضية سليمان خاطر ونجحت في تفجير انتفاضة طلابية وشعبية واسعة في جامعات ومدن مصر خاصة جامعتي القاهرة والزقازيق تضامنًا مع سليمان خاطر، ومن الطبيعي مع تزايد القيمة السياسية والنضالية لعناصر الطلائع وتصاعد نشاطها أن تعمل أجهزة الأمن على إجهاضها وتوجيه ضربة لها بعد أن رصدتها بوضوح في انتفاضة سليمان خاطر عام ١٩٨٦م. وبالفعل تم اعتقال عدد من عناصر الطلائع عام ١٩٨٧م وتم التحقيق معهم في القضية ٤٠١ حصر أمن دولة عليا لسنة ١٩٨٧م.

ومن الضروري هنا أن نحاول إلقاء الضوء على أفكار ورؤى حركة الطلائع لأنها هي نفسها أفكار ورؤى سيد نصير مما يحد لنا الخلفية الفكرية والسياسية لسيد نصير.

ولعل اسم الطلائع وإن كانت أجهزة الأمن هي التي أطلقته على تلك الحركة، يعطينا السمة الأولى لتلك الحركة، فهي ترى أنها ليست بديلة عن الأمة بل هي طليعة لها وأن على الحركة الإسلامية ألا تتصرف كجماعة أو تنظيم مستقل يخوض معارك الأمة بل عليه أن يدفع الأمة لخوض معاركها بنفسها، وأن كل مهمته طليعة للجماهير في تلك المعارك.

وترى حركة الطلائع، أن النضال السياسي فرض عين على كل مسلم ومسلمة ومن إزالة كافة أشكال الاستكبار من على وجه الأرض سواء كان هذا الاستكبار في صورة استبداد سياسي أو ظلم اجتماعي أو دعوات ونعرات إقليمية أو قومية ضيقة الأفق بهدف الوصول إلى المجمع اللاطبقي ومجتمع الحرية والانتماء الإنساني والأممي الشامل، وتنطلق الحركة في هذا الفهم من تحليل عميق للإسلام باعتباره منهجًا متكاملاً وليس مجرد نصوص ممزقة لا رابط بينها.

فهي ترى أن الإسلام دين الفطرة، وأن الله تعالى قد أخذ ميثاق الفطرة على الناس جميعًا قبل أن يستخلفهم في الأرض ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [1] أي أن معرفة الله تعالى مركوزة في الفطرة ولا تحتاج إلى أي دليل من خارجها ولكن فقط منع تشويه تلك الفطرة وتحقيق حرية الاختيار للناس. ومن ناحية أخرى فإن الله تعالى قد خلق الكون ووضع فيه الآيات ما يجعل الإنسان يهتدي إلى معرفة الله تعالى بسهولة ويسر وبأقل قدر من التفكير، بالإضافة طبعًا إلى أن الله تعالى قد زود الإنسان بالعقل وجعله قادرًا على التميز والوصول إلى معرفة الله تعالى باستخدام ملكة التفكير بهذا العقل، إذن فالفطرة والعقل والكون وكل شيء يقود إلى الله تعالى. وإذا ما تحققت شروط الاختيار الحر فإن الإنسان يختار الإسلام بدون أي صعوبة. أي أن المسألة لا تحتاج إلى إقناع بقدر ما تحتاج إلى إزالة ما يحول بين الإنسان وبين فطرته أو عقله أو الكون وآياته، ولكن من جهة أخرى فإن القوى الشيطانية تحاول منع الإنسان من الاختيار الحر عن طريق الاستبداد السياسي الذي يمنع الناس من حرية التفكير وحرية الاجتماع والحوار ويقهرهم على نوع واحد من الفكر الذي تراه السلطات. وفي مواجهة هذا الاستبداد فإن على المسلمين عمومًا والحركة الإسلامية، خصوصًا أن تناضل من أجل حرية الفكر، حرية إبداء الرأي، حرية الاجتماع، حرية الحوار... وغيرها من الحريات، لأنها بذلك تعطي للناس فرصة الاختيار الحر فإذًا هم يختارون الإسلام ببساطة لأنه دين الفطرة والعقل.

وكذلك تقوم القوى الشيطانية بحرمان الجماهير من حقوقها الاقتصادية والاجتماعية وتستأثر بالنصيب الأكبر من الثروة وتترك للجماهير الفتات. فإذا المجتمع منقسم إلى مترفين ومحرومين والترف بطبيعته يقود إلى الطغيان والميوعة والانحلال وينشر في المجتمع قيمًا فاسدة والحرمان بدوره يجعل الجماهير في حاجة مستمرة تحول بينهم وبين التفكير الحر والاختيار الحر. وفي مواجهة ذلك الظلم الاجتماعي والاقتصادي فإنه على المسلمين عمومًا وعلى الحركة الإسلامية خصوصًا أن تناضل من أجل حقوق الجماهير الاقتصادية والاجتماعية.. وهي بهذا أيضًا تحقق للجماهير ظروف الاختيار الحر فإذا بهذه الجماهير تختار الإسلام.

(١) الآية رقم ١٧٢ سورة الأعراف.

والقوى الشيطانية أيضًا تسعى لنشر الأفكار المنحرفة مثل الولاء العشائري أو الوطني الضيق أو القومي الضيق أو المذاهب الهدامة فلسفيًا واقتصاديًا وسياسيًا وعلى القوى الإسلامية أن تتصدى لهذا وتناضل من أجل الفكر الأممي والإنساني الشامل إذ لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى وأن كلكم لآدم وآدم من تراب.

إذن فمفهوم الدعوة لدى حركة الطلائع هو النضال ضد الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي والاقتصادي والولاء القبلي والقومي والإقليمي الضيق. وليس مجرد مفهوم المناقشة أو الدعوة الفكرية، لأن الجماهير والناس عمومًا لا تحتاج لأحد ليعرفها بالله تعالى فهي تعرفه بالفطرة والعقل وآيات الكون الواضحة بل تحتاج إلى من يأخذ بيدها لانتزاع حقوقها وتحقيق ظروف الاختيار الحر.

وانطلاقًا من هذا تؤمن حركة الطلائع بأن الإسلام دين غير طائفي، بل هو يدعو للدفاع عن المستضعفين أيًا كانوا، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين لأن انتزاع حقوق الناس يحقق لهم فرصة الاختيار الحر وهم بالفطرة والعقل وآيات الكون سيختارون الإسلام لأنه لم يحل بينهم وبين هذا الإسلام إلا ظروف القهر الاجتماعي والاستبداد السياسي والولاء القبلي أو الطائفي أو العشائري.

ولعل تلك الرؤية الهامة في الدفاع عن المستضعفين هي التي جعلت عناصر الطلائع تهتم اهتمامًا خاصًا بالدفاع عن قضايا العمال والفلاحين وتصدر عددًا من المجلات والمنشورات التي تؤكد على هذا المعنى مثل (صوت المستضعفين)، (المناوبة) وهي ناطقة بلسان الفلاحين، حيث أن كلمة المناوبة تعني في أوساط الفلاحين المصريين نوبات الرأي، وهي التي جعلت عناصر الطلائع تتظاهر تضامنًا مع عمال المحلة وإسكو والسكة الحديدية عامي ١٩٨٥م-١٩٨٦م.

ومن الأشياء الملاحظة على نشاط الطلائع، انخراط عدد كبير من النساء في نضالها الشعبي والطلابي.

وهي سمة لفتت أنظار الكثيرين، حيث أن الحركة ترى أن المرأة ليست كائنًا مقدسًا ولا كائنًا ناقصًا بل هي كائن مكلف مثل الرجل تمامًا وأن عليها (أي المرأة)

أن تناضل من أجل قضايا الأمة والجماهير والشعب.

ترى حركة الطلائع أن الصراع على أرض فلسطين ما هو إلا حلقة من حلقات الصراع الإسلامي ضد القوى الشيطانية، وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد نجحت في القضاء على الحضارات الاستكبارية في المنطقة في الثلاثة قرون الأولى، فإنه لم يصمد أمامها حتى الآن إلا الحضارة الأوروبية، وهي حضارة إغريقية[1] وثنية في مضمونها ذات قشرة مسيحية ويمكن أن نطلق على تلك الحضارة الأوروبية الوثنية الإغريقية ذات القشرة المسيحية اسم الحضارة الصليبية.. وهي حضارة قامت على النهب والقهر وتدمير القيم، فهي التي ارتكبت عملية إبادة الهنود الحمر، وعملية قتل واسترقاق السود في إفريقيا (تم قتل أكثر من ٥٠ مليون إفريقي في وقت كان فيه سكان انجلترا ٣ ملايين فقط أي بحساب اليوم أكثر من ١٠٠٠ مليون إفريقي كان من الممكن أن يغيروا وجه إفريقيا)!! وهي الحضارة الأوروبية.. فالملكيون الفرنسيون مثلاً عذبوا وقتلوا شعب الجزائر وكذلك الجمهوريون[2].

وأيضًا أوساط اليمين الفرنسي واليسار أيضًا. بل إن مذبحة سنة ١٩٤٥م في الجزائر والتي أبيدت فيها قرى جزائرية كاملة بالطيران الفرنسي تمت على يد حكومة اشتراكية كان وزير الطيران فيها شيوعيًا، وإسرائيل ذاتها تجد أكبر الدعم من أوساط الحركة الاشتراكية في أوروبا، بل إن عدوان ١٩٥٦م على مصر تم على يد حكومة العمال الإنجليزية وحكومة الحزب الاشتراكي في فرنسا وحكومة حزب العمل الإسرائيلي.

إذن فالصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية صراع ممتد في الزمان والمكان. وهو صراع بين قوى الحق والعدل والحرية وتحرير الإنسان من الاستبداد والظلم وبين قوى الشر والنهب والقمع. وأن ذلك الصراع لم يهدأ يومًا، فالحروب الصليبية لم تنقطع يومًا بدءًا من الصدام مع الدولة البيزنطية ومرورًا بالحروب

(١) يتم تعميد بابا الفاتيكان حتى اليوم بنفس طقوس تعميد كهنة المعابد الإغريقية القديمة.

(٢) أحمد بن بلا، حوار معرفي شامل.

الصليبية في الشرق. التي استمرت ثلاثة قرون وانتهاء بالاستعمار الأوروبي وإقامة دولة إسرائيل. بل إن الحروب الصليبية في المغرب العربي لم تنقطع يومًا، فقد بدأت قبل الحروب الصليبية في الشرق واستمرت أثناءها واستمرت بعدها لدرجة أن البعض أطلق عليها حرب الألف عام[1] وما زال ذلك الصراع محتدمًا حتى اليوم أمتنا وحضارتنا على يد أمريكا وإسرائيل وحلفائهما كآخر إفراز للحضارة الغربية.

إذن فإسرائيل ما هي إلا حلقة من حلقات ذلك الصراع الممتد في الزمان والمكان، وإقامة إسرائيل ذاته يستهدف القضاء على الحضارة الإسلامية، وهو صراع حضاري في جوهره وبالتالي فلا مكان للالتقاء هناك، ولا مكان للتفاوض أو الحلول الوسط، فإما حضارتنا ووجودنا ومصالحنا وإما نهاية لحضارتنا ووجودنا ومصالحنا، إذن فلا هامش للتفاوض. لأنه لا شيء مشترك بيننا وبينهم. ومن هنا فإن الحركة الإسلامية ترى أن التفاوض والحلول الوسط مع إسرائيل ما هي إلا تلهية للجماهير والتفافًا حولها وأن نهج التفاوض نهج خائن أو متردد في أقل الأحوال.

وأن الطريق الوحيد لتحرير فلسطين هو حرب التحرير الشعبية والعقيدة الإسلامية، ولابد من تحرير كامل التراب الفلسطيني من النهر إلى البحر ومن الجنوب إلى الجنوب. وأن المعركة مع إسرائيل ليست معركة الفلسطينيين ولا معركة العرب وحدهم بل هي معركة كل الأمة الإسلامية... ومن هنا جاء شعار الحركة (القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة الإسلامية).

وترى حركة الطلائع أنه منذ أن تعرضت أمتنا للغزوة الصهيونية في أواخر القرن الماضي وطوال هذا القرن فإن منهجين في مواجهة تلك الغزوة قد تبلورا.

المنهج الأول هو خط الجماهير والعلماء المجاهدين. وهو خط يرى أن التناقض بيننا وبين الكيان الصهيوني هو تناقض جوهري لا يمكن حله إلا عبر الكفاح المسلح طويل المدى لإنهاء الحقبة الاستعمارية بكاملها وتدمير الكيان الصهيوني تمامًا وبلا أدنى فرصة في اللقاء على أي أرضية كانت وأن هذا الخط يستند إلى فهم

(١) بسام العسيلي (الثورة الجزائرية) دار النفائس، بيروت.

طبيعة التحدي. فهم طبيعة وتركيب وأهداف العنصر المعادي. فهم شروط وخصائص قوانا الذاتية، ومن هذا المنطلق نرى أن الكيان الصهيوني كيان (توراتي، استعماري، استيطاني، عنصري، فاشي). وأن التحدي هو تحد حضاري في المقام الأول، وأن قوانا الذاتية لا تنطلق إلا من خلال الإسلام لأن أمتنا لا تتحرك إلا من خلال هذا المنهج الذي شكل ملامحها الحضارية تمامًا.

وبناء على ما تقدم كان خط العقيدة الإسلامية وحرب التحرير الشعبية طويلة المدى هو الشعار الذي اتخذته الجماهير والعلماء والمجاهدون دينًا لها وممارسته منذ الوهلة الأولى ، فمنذ أن وطئ اليهود أرضنا في فلسطين وقف الفلاحون يتصدون للغزاة في قرية الخفيرة بفلسطين وقرية ملبس (بتاح تكفا) عام ١٨٦٦م، ثم ما لبث الكفاح أن تمخض عن ظهور عدد من المنظمات التي خاضت غمار العمل المسلح مثل جمعية الفدائية وغيرها مما أدى إلى اندلاع ثورة ١٩٢٠م ثم ثورة حائط البراق ١٩٢٩م. ثم ظهور منظمة الكف الخضر ١٩٢٩م، وانتفاضة ١٩٣٣م، ثورة الشيخ المجاهد عز الدين القسام ١٩٣٥م، الثورة الشعبية الكبرى سنة ١٩٣٦م، القتال في الأربعينات، وعدد من عمليات العنف، حرب ١٩٤٨م، التي شارك فيها الإخوان المسلمين، ظهور فتح (العاصفة) ١٩٦٥م، معركة الكرامة ١٩٦٨م، صمود السويس بقيادة الشيخ حافظ سلامة ١٩٧٣م وحرب رمضان عمومًا كممارسات ضباط وجنود، معارك لبنان وبيروت ١٩٨٢م، الكفاح الإسلامي المسلح في لبنان ضد الكيان الصهيوني في الجنوب منذ ١٩٨٢م حتى الآن، عملية سليمان خاطر ١٩٨٥م، حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وعملياتها الفدائية المتميزة بالخنجر والسكين والهروب من السجون وتفجير الانتفاضة الثورة منذ ١٩٨٧م وحتى اليوم، إعدام كاهانا ١٩٩٠م في مدينة نيويورك.

أما المنهج الثاني فهو خط الأحزاب العلمانية والوجهاء وهم ذوي مصالح محددة ويبحثون عن صيغة اتفاق مع الكيان الصهيوني تحقق للطرفين نقطة اتفاق أو أنهم علمانيون تغريبيون لا يجدون في منطلقاتهم السياسية مبررًا لمواجهة إسرائيل حيث أنهم مجرد إفراز للفكر الغربي وهو نفس الفكر والحضارة اللذين أفرزا الكيان

الصهيوني وبالتالي فليس هناك تناقضًا جوهريًا بين هؤلاء وبين الكيان الصهيوني وإنما هناك تناقض ثانوي يتسع ويضيق حسب معطيات ومعادلات الصراع في المنطقة، وطبيعي أن هذه القوى مترددة تقاتل بشكل جزئي لتحسين ظروف التفاوض ليس إلا، أي أن الخط الأساسي لهذه القوى هو خط التفاوض ومحاولة البحث عن صيغة تعايش مع الكيان الصهيوني ومن هنا فقد مارست تلك القوى والتي ظلت تحكم العالم العربي حتى الآن أسلوب الحلول الوسط والمفاوضات واللعب على التناقضات الثانوية، ومنذ اليوم الأول للصراع نسمع عن مفاوضات لندن ١٩٢١م، الكتاب الأبيض البريطاني الأول والثاني، مفاوضات رودس ١٩٤٩م، قرار (٢٤٢، ٣٣٨)، مبادرة روجرز ١٩٧٠م، كامب ديفيد ١٩٧٨م، مقررات قمة فاس، الحوار الفلسطيني الأمريكي..... الخ.

وهكذا نجد أن الخلفية الفكرية والسياسية لحركة الطلائع. والذي استمد منها السيد نصير رؤيته السياسية والفكرية من خلال حضور ندواتها ومشاركته في حلقات الحوار التي كانت تنظمها عناصر تلك الحركة، يمكن أن تفسر لنا لماذا قام السيد نصير بعملية إعدام كاهانا.. فإذا أضفنا إلى ذلك التركيبة النفسية والشخصية للسيد نصير . الهادي، الوديع، الفنان، المتدين، والظروف الاجتماعية والبيئية التي نشأ فيها السيد نصير، وهي ظروف البيئة الشعبية المصرية ذات الوجدان الديني المفعم الكاره لليهود وكيدهم، وكذلك ظروف الاحتكاك مع الكيان الصهيوني مبكرًا من خلال حرب ١٩٦٧م، وصمود بور فؤاد لمحاولات الجيش الصهيوني لاحتلالها برغم احتلال ذلك الجيش لكل الضفة الشرقية للقناة، وكذلك آلام التهجير النفسية وانعكاسها على وجدان وتفكير السيد نصير.لاستطعنا أن نؤكد أن عملية إعدام كاهانا لم تأت من فراغ، وانه كان لها أسبابها الشخصية والسياسية لدى السيد نصير، وأنها كانت عملية مدبرة من قبل السيد نصير وأنه كان هناك سبق إصرار عليها وأنها لم تأت عفوًا أو تأتي كرد فعل مباشر على خطاب كاهانا في نيويورك، فلو لم يكن السيد نصير قد نوى ذلك العمل لما ذهب أصلاً إلى الفندق ولما حمل معه سلاحًا غير مرخص.

ولعل ذلك التفسير، وضع الأمور في نصابها الطبيعي وظروفها الموضوعية هو ما

تحاول أجهزة الإعلام الغربي والأوساط الأمنية والسياسية الأمريكية أن تطوقه وتحجبه عن الرؤية والسماع وذلك لسحب الآثار السياسية للحادث التي هي بالقطع لصالح دفع جموع الأمة للتصدي والرفض والعنف ضد الكيان الصهيوني أو في مواجهة الكيان الصهيوني والاستكبار الأمريكي... وهي أمور لا يريد لها الأمريكيون والإسرائيليون أن تصبح نمطًا من السلوك الطبيعي لدى جماهير الأمة الإسلامية وخاصة من المصريين الذين تريد لهم أمريكا وإسرائيل أن يكونوا خارج معادلة الصراع.

وهكذا لم يكن غريبًا أن تدعي تلك الأوساط أن سيد نصير مجنونًا أو تدعي أوساط أخرى أنه ليس مصري الجنسية. لأن تلك الأوساط لا تريد لهذا السلوك أن يكون نموذجًا، ولا تريد لمصر بثقلها الشعبي والتاريخي أن ينخرط أبنائها في مواجهة مع النفوذ الأمريكي والإسرائيلي والانخراط في خندق المواجهة بالعنف المشروع ضد عنف واستكبار اليهود والأمريكان.

ومن الأفضل لهم طبعًا _وهذا سلوك تقليدي لهم_ أن يدعوا أن سيد نصير شخص مجنون، مثلما ادعوا من قبل أن سليمان خاطر مجنون وكل هذا من أجل تطويق الآثار السياسية للحادث مصريًا وعربيًا وإسلاميًا وهي آثار خطيرة على المشروع الأمريكي والصهيوني في المنطقة.

والحقيقة التي لا تقبل الشك، أن سيد نصير بتركيبته النفسية السوية وحسه الفني المرهف والتزامه الإسلامي الواضح، وبظروفه الاجتماعية الأسرية وظروف نشأته في مدينة الصمود (بور فؤاد) وظروف التهجير بعد حرب ١٩٦٧م ثم بخلفيته السياسية والفكرية التي تبلورت من خلال احتكاكه بجماعة شباب الإسلام وحركة الطلائع كان مرشحًا لأن يقوم بهذا العمل، فإذا ما جاءت أحداث مذبحة الأقصى التي راح ضحيتها ٢١ شخصًا في ٨ أكتوبر ١٩٩٠م والتي أدت إلى بكائه، أي أنها فجرت كل التراكمات الشخصية والبيئية والسياسية بداخله، كان من الطبيعي أن يقرر سيد نصير أمرًا وأن يعد له العدة وأن ينفذه بعد أقل من شهرين من نزول دموعه على شهداء الأقصى.

على أن أكثر ما يغيظ في المسألة هو إطلاق وصف الإرهاب على سيد نصير، وكأن الدفاع الشرعي عن الوجود والرد على أعمال إسرائيل عمومًا وكاهانا خصوصًا أمر محرم علينا، ولكن الأوساط الأوروبية والأمريكية التي تطلق على النضال والجهاد والعنف المشروع كلمة إرهاب، وتتغاضى عن ممارسات إسرائيل القمعية في الأرض المحتلة، تتغاضى عن القتل والطرد والتشريد ونسف البيوت والتعذيب في السجون الصهيونية وتتغاضى عن الاعتداء على المقدسات الإسلامية وتتغاضى عن احتلال وطن بأكمله وأجزاء من بلاد أخرى، إنما تكشف عن نفسها وعن معاييرها المزدوجة في التعامل معنا وتكشف زيف قيمها وحضارتها وتكشف عداوتها العميقة لكل ما هو إسلامي.

حركة كاخ العنصرية (نموذج متكامل للمجتمع الإسرائيلي)

(قبضة سوداء على خلفية صفراء)، (أعطوني القوة لكي أتصرف مع العرب بصورة نهائية)، (العرب كلاب مقززون وطردهم واجب ديني)، (غير اليهودي ليس له أي حق سياسي).. تلك هي نماذج من شعارات حركة كاخ أو الحركات المتطرفة في إسرائيل، أو قل هذه هي الشعارات الحقيقية للمجتمع الإسرائيلي عمومًا.

تأسس حزب كاخ على يد مائير كاهانا سنة ١٩٧٢م أي بعد عام واحد من هجرة كاهانا إلى إسرائيل، ومعظم أعضاء حركة كاخ من الشباب الصهيوني المتطرف. وتقوم أفكار هذا الحزب على سيادة اليهود على كل أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات، ويرفض إعادة أي جزء من الأرض لغير اليهود، وفرض السيادة اليهودية يتحقق عن طريق هجرة اليهود من كل أنحاء العالم إلى إسرائيل ومصادرة أراضي الفلسطينيين وإخراج كل العرب من الأرض المحتلة ومن يرفض هذا فلابد من قتله، وأن حدود إسرائيل فهي من النيل إلى الفرات والأردن هي الأرض الشرقية لإسرائيل!!

ويمكننا أن نفهم أفكار هذا الحزب بصورة أكثر وضوحًا من خلال مؤلفات وأطروحات الحاخام مائير كاهانا نفسه مثل كتاب (أشواك في عيونكم) وكتاب

(الإيمان والإخلاص) وكتاب (عليهم أن يرحلوا) [1].

حيث يرى كاهانا أن غير اليهود هم حيوانات ولدت من ذرية الحصان وهو لا يشير إلى العرب إلا بقوله (الكلاب المقززين).. ويؤكد كاهانا أن طرد العرب وسيادة إسرائيل المطلقة على كل الأراضي من النيل إلى الفرات هو واجب ديني ويستشهد كاهانا بما جاء في التوراة ليوضح المعنى الحقيقي لدولة إسرائيل وشعب إسرائيل: (لقد منحتك هذه الأرض لذريتك من نهر مصر (النيل) حتى النهر الكبير (الفرات)) لذا فإن إسرائيل غير قابلة للإبادة لأنها مقدسة اختارها الرب!! ويستطرد كاهانا أن الهدف واضح وهو أن كل من ليس يهوديًا لا حق له في البقاء أو الملكية والجنسية.

ويشرح كاهانا كيف يتم ذلك بقوله أن على الغرب أن يتعاون مع إسرائيل إذا أراد استمرار تدفق البترول من الشرق الأوسط عليهم أن يضغطوا على العرب أولاً ليندمج الفلسطينيون داخلهم ثم فليقبلوا بعد ذلك رحيل العرب إلى الغرب ليعملوا في المهام الشاقة لأن الغرب يحتاج إلى الأيدي العاملة العربية للعمل في المهن المنحطة وعلى كل حال فليس حزب كاخ وحده وليس مائير كاهانا وحده، فهناك مثلاً حزب هاتخيا برئاسة جيئولا كوهين وقد تأسس عام ١٩٧٩م عقب توقيع معاهدة كامب ديفيد.

ويرفض حزب هاتخيا الاعتراف باتفاقية كامب ديفيد ويطالب بفرض السيادة اليهودية على ما يسميه بأرض إسرائيل الكبرى، ويعتبر المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة حزامًا أمنيًا إستراتيجيًا لإسرائيل، وبالنسبة لوجود الفلسطينيين يطرح حزب هاتخيا ثلاثة تصورات إما الإندماج داخل دولة إسرائيل وإعلان الولاء لها وإما الإقامة في الدولة كأجنبي، وإما الهجرة من إسرائيل، ويمارس هذا الحزب ضغوطًا لزيادة الاستيطان في الأراضي المحتلة وضم الجولان رسميًا لإسرائيل بعد أن قامت إسرائيل بضم القدس رسميًا لإسرائيل واعتبرتها عاصمة لها[2].

(١) مائير كاهانا (عليهم أن يرحلوا) عرض ميرفت دياب، الأهالي ١٤ نوفمبر ١٩٩٠م.

(٢) نهال شريف (تحقيق صحفي) المصور ١٦ نوفمبر ١٩٩٠م.

وهناك حزب تسوميت (الصهيونية المتجددة) ويرأسه الجنرال المتقاعد رافائيل إيتان الذي شارك آرييل شارون في التخطيط لغزو لبنان ومذابح صبرا وشاتيلا، وقد تأسس هذا الحزب عام ١٩٨٧م ويحظى الحزب بتأييد الشباب المتطرف من اليهود الشرقيين والغربيين على السواء. ويتخذ هذا الحزب شعار القضاء على أي مصدر يهدد الجنس اليهودي ويحول دون استمرار انتشاره ويدعو لضرورة التمسك بأرض إسرائيل الكبرى بما في ذلك هضبة الجولان، ويتميز إيتان مؤسس هذا الحزب بعنصريته الشديدة وكراهيته للعرب ويقول لن ينتصر علينا العرب بالحجارة وسنرد عليهم ردًا صهيونيًا، سنبني عشر مستوطنات مقابل كل حجر وعندما يصبح هناك مائة مستوطنة في نابلس والقدس لن يستطيعوا رشق الحجارة)!!

ويرفض إيتان الاعتراف بما يسمى بالقضية الفلسطينية[١].

وهناك حزب موابيت (الوطن) وأسسه رحبعام زئيفي وهو من أعلى الأصوات التي تطالب بسياسة الترانزفير، أي الترحيل الجماعي والمنظم للفلسطينيين من الأراضي المحتلة. ويقول زئيفي أنه قد اضطر للعمل السياسي لأنه إذا لم يعمل على تطبيق الترانزفير فستخسر إسرائيل كل شيء[٢].

وبالإضافة إلى تلك الأحزاب هناك حركات عنصرية غير ممثلة في الكنيست الإسرائيلي مثل جماعة جوش أمونيم وهي من أشد مؤيدي الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة على اعتبار ذلك من الناحية العقائدية إسهام مباشر في عملية الخلاص وينتسب لتلك الحركة أكثر من عشرة آلاف شخص.

وفي الحقيقة فإن المسألة ليست مسألة أحزاب أو جماعات متطرفة بل إن المجتمع الإسرائيلي بكامله قائم على التطرف والعنصرية يستوي في ذلك شامير وبيريز، اليمين واليسار وحتى الملحدون. ويرى الأستاذ روجيه جارودي أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع توراتي من حيث طبيعته وتوجهاته وسياساته ولا يختلف في ذلك يمين أو

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) نفس المرجع السابق.

يسار مؤمنون أو ملحدون. فجولدا مائير مثلاً وهي من حزب العمل تقول: (نشأ هذا البلد تنفيذًا لوعد الرب ذاته ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحًا عن شرعية هذا الوجود)[1].

أما بيجين زعيم كتلة ليكود فيقول: (لقد وعدنا الرب هذه الأرض ولنا الحق فيها)[2].

أما موشي ديان (الملحد) فيقول: (إذا كنا نملك التوراة وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي أن نمتلك أيضًا بلاد التوراة أرض أورشليم وحبرون وأريحا وأماكن أخرى)[3].

وفذا كانت جميع الاتجاهات السياسية في إسرائيل تنطلق من التوراة، فإن المجتمع الصهيوني يجعل التوراة نفسها تحدد ثقافة الأطفال في المدارس، وكذلك الزواج في إسرائيل زواج ديني كما لا يوجد في إسرائيل دستور لأن التوراة هي القانون الأساسي للدولة، والتوراة أيضًا تحدد من هو الإسرائيلي وتحدد حدود الدولة وتبرر الحرب والإرهاب[4].

ويرى الأستاذ جارودي، أنه انطلاقًا من التوراة (المحرفة طبعًا) فإن اليهود أنفسهم شعب الله المختار وبقية العالم عبيد لهم، وهي فكرة عنصرية تمامًا وبالتالي فإن المجتمع الإسرائيلي مجتمع عنصري حتى النخاع.

(١) جولدا مائير، تصريح صحفي لصحيفة لوموند الفرنسية ٢٥ مايو ١٩٧١م.

(٢) تصريح لصحيفة دافار ١٤ ديسمبر سنة ١٩٨٧م.

(٣) تصريح لصحيفة جيروزاليم بوست ١٠ أغسطس ١٩٦٧م.

(٤) التوراة المحرفة طبعًا، لأن التوراة الحقيقية لم تقل هذا.